يكن بعض الباحثين يميلون إلى أن يروا فى الساعاتى مقدمة له ومستراً به ، ولكن الحقيقة ـ كما أراها ـ غير ذلك ، فالساعاتى كان يحاول شيئا ، ولكن الخيوط التقليدية التى كان تشد شعراء عصره ظلت تشده أيضا ، وهى خيوط كانت أقوى من محاولته ، وكان شَدُها له أشد من إرخائها ، فلم يكن لمحاولته ذلك التأثير الذى نستطيع أن نراه من خلاله مقدمه للبارودى أو إرهاصا لظهوره، وإنما عاش الساعاتى يلعب دوره دون أن يحدد لنفسه هدفا ، أو يبشر فى شعره برسالة ، فلما مضى مضى معه دوره وانتهى ، دون أن يكون له تأثير فيمن جاء بعده على المسرح الفنى .

ولد البارودى (محمود سامى حسن حسنى عبدالله البارودى) فى السابع من شهر أكتوبر سنة ١٨٣٨ فى أسرة جركسية تنتمى إلي المماليك الذين كان لهم دور كبير فى مصر وغيرها من البلاد العربية أيام التتار والصليبيين ، واتجه منذ صباه المبكر إلى الحياة العسكرية ، فالتحق بالمدرسة الحربية ، وتخرج فيها سنة ١٨٥٤ ثم سافر إلى تركيا فى سنة ١٨٦٣ ، ثم عاد إلى مصر فى حاشية إسماعيل وهو فى الرابعة والعشرين ، ومضى فى طريق حياته بين القصر والجيش حتى وصل إلى قيادة سلاح الفرسان فى الجيش المصر ، ثم إلى نظارة الحربية ورئاسة الوزارة ، وشارك فى حروب كريت والبلقان التى أعلنتها روسيا على تركيا فى أراضى البوسنة والهرسك والصرب والجبل الأسود فى سنة ١٨٧٨ ، ومن هناك مَدْ رحلاته إلى فرنسا وعَبر المانش إلى إنجلترا ، ثم عاد إلى مصر ، وابتعد فترة عن الحياة السياسية . حتى إذا كان عصر توفيق، واشتعلت الثورة العرابية ، كان واحدا من زعمائها وقادتها . ومع النهاية المأساوية الحزينة التى انتهت إليها الثورة نفى البارودى مع رفاقه ، رفاق السلح ، إلى جزيرة سيلان حيث قضى سبعة عشر عاما وبعض عام ، صدر بعدها عفو من عباس الثانى عنه وعن رفاقه ، وعاد إلى مصر وقد أخذت نُذُر الفناء تسرع إليه ، وهو يقف محطما منهاراً على أبواب النهاية المحتومة أربع